الباب الثانى

كتاب « آراء أهل المدينة الفاضلة »

— ١ —

زمان تأليف الكتاب ومكانه ونشره

لا نعلم شيئاً يقيناً عن تاريخ تأليف الفارابى لهذا الكتاب ولا عن البلاد التى ألفه فيها ولا عن أوضاعه الأولى وما أدخله عليه من تنقيح وزيادة فيما بعد . ومن أشهر ما قيل فى هذا الصدد ما ذكره ابن أبى أصيبعة فى كتابه « عيون الأنباء » من أن الفارابى قد « ابتدأ فى بغداد بتأليف كتاب المدينة الفاضلة والمدينة الجاهلة والمدينة الفاسقة والمدينة المُبَدِّلة والمدينة الضالة (هذه أقسام للمدينة ذكرها الفارابى فى فقرة من فقرات كتابه ، وهى الفقرة التى جعل عنوانها : « القول فى مضادات المدينة الفاضلة ») وحمله إلى الشام فى أواخر سنة ٣٣٠ هـ وتممه بدمشق فى سنة ٣٣١ هـ ، وحرره ثم نظر فى النسخة بعد التحرير فأثبت فيها الأبواب . ثم سأله بعض الناس أن يجعل له فصولا تدل على قسمة معانيه فعمل الفصول بمصر سنة ٣٣٧ هـ » .

وقد طبع هذا الكتاب لأول مرة المستشرق الألمانى ديتريسى فى مدينة ليدن سنة ١٨٩٥ . ثم طبع بعد ذلك عدة طبعات فى مصر وبيروت وغيرهما . ويقع الكتاب فى إحدى طبعاته المصرية (وهى الطبعة التى ظهرت فى سنة

١٩٠٦) فى نحو مائة وخمس وعشرين صفحة من القطع المتوسط (طبعة مطبعة السعادة لناشرها مصطفى فهمى ، ظهرت سنة ١٩٠٦) .

— ٢ —

لغة الفارابى فى هذا الكتاب

ولغة الفارابى فى هذا الكتاب — كلغته فى جميع كتبه — لغة معقدة ركيكة تبين بصعوبة عما يقصده . ويرجع السبب فى ذلك إلى عوامل كثيرة. منها أن لسانه الأصلى ليس اللسان العربى ، فقد تعلم العربية كما تعلم اللغات الأجنبية الأخرى التى كان يعرفها . ولعل منها كذلك أن معرفته بلغات كثيرة حال بينه وبين تجويد اللغة العربية . ومنها أن فلاسفة المسلمين عامة كانوا يهدفون إلى محاكاة الأساليب الأجنبية التى كانت مراجعهم فى الفلسفة ؛ فجاء الإغراب إلى أساليبهم من هذه المحاكاة . ومنها أن بعضهم كان يتعمد الإغراب تعمداً حتى يظهر الفلسفة فى صورة بعيدة عن متناول العامة من الناس . ومنها كذلك عمق الأفكار الفلسفية نفسها وكثرة مصطلحاتها ؛ فكثيراً ما يؤدى عمق التفكير وكثرة المصطلحات إلى عمق العبارة وغموضها .

ويزيد الأمر صعوبة أن النسخ المتداولة فى العالم العربى من هذا الكتاب مملوءة بالتحريف والأخطاء المطبعية .

— ٣ —

موضوع الكتاب

قصد الفارابى من كتابه هذا إلى تكوين مجتمع فاضل (يوتوبيا Utopie) من نوع المجتمعات التى فكر فيها من قبله طائفة من فلاسفة اليونان كجمهورية أفلاطون وبنشاى إفهيمير ومدينة الشمس لجمبول .

La "République" de Platon ; la "Panchaïe" d'Evhémère ; et la "Cité du Soleil" de Jambule.

وقد أراد مثلهم أن ينشىء مدينته وفقاً للمبادىء الرئيسية التى تقوم عليها فلسفته وآراؤه فى السعادة والأخلاق والكون وخالقه وماوراء الطبيعة .

— ٤ —

اقسام الكتاب

ولذلك قسم كتابه قسمين : قسم بدأ به ولخص فيه المبادىء الفلسفية التى يدين بها والتى سيراعيها إلى حد ما فى إنشاء مدينته ؛ وقسم ختم به كتابه وشرح فيه شئون هذه المدينة وما ينبغى أن تكون عليه فى مختلف فروع حياتها .

ومع أن القسم الثانى هو المقصود بالذات من كتابه ومع أنه فى واقع الأمر لايتوقف توقفاً كبيراً على القسم الأول ، فإنه لم يشغل إلا نحو خمسى الكتاب ، بينما شغل القسم الأول نحو ثلاثة أخماسه .

— ٥ —

محتويات القسم الفلسفى من الكتاب

يشتمل هذ القسم على خمس وعشرين فقرة وقد وقف الفارابى تسع فقرات فى فاتحته على البحث فى الموجود الأول وهو الله تعالى وبيان طائفة من صفاته (« القول فى الموجود الأول ؛ القول فى نفى الشريك عنه تعالى ؛ القول فى نفى الضد عنه ؛ القول فى نفى الحد عنه سبحانه ؛ القول فى أن وحدته عين ذاته وأنه تعالى عالم وحكيم حق وحى وحياة ؛ القول فى عظمته وجلاله ومجده تعالى ؛ القول فى كيفية صدور جميع الموجودات عنه ؛ القول فى مراتب الموجودات ؛ القول فى الأسماء التى ينبغى أن يسمى بها الأول تعالى مجده ») . ثم وقف بقية فقرات هذا القسم (ست عشرة فقرة) على بيان مراتب الموجودات الروحية والمادية وحالات كل طائفة منها وصلتها بالله تعالى وصلتها بعضها ببعض وما إلى ذلك (« القول فى الموجودات الثوانى وكيفية صدور الكثير عن الواحد ؛ القول فى الموجودات والأجسام التى لدينا ؛ القول فى المادة والصورة ؛ القول فى المقاسمة بين المراتب والأجسام الهيولانية والموجودات الإلهية ؛ القول فيما تشترك الأجسام السماوية فيه ؛ القول فيما فيه وإليه تتحرك الأجسام السماوية وإلى أى شىء تتحرك ؛ القول فى الأحوال التى توجد فيها الحركات الدورية وفى الطبيعة المشتركة لها ؛ القول فى الأسباب التى عنها تحدث الصورة الأولى ؛ القول فى مراتب الأجسام الهيولانية فى الحدوث ؛ القول فى تعاقب الصور على الهيولى ؛ القول فى أجزاء النفس الإنسانية وقواها ؛ القول كيف تصير هذه القوى والأجزاء نفسها واحدة ؛ القول فى القوة الناطقة كيف تعقل وماسبب ذلك ؛ القول فى الفرق بين الإرادة والاختيار وفى السعادة ؛ القول فى سبب المنامات ؛ القول فى الوحى ورؤية الملك ») .

وآراؤه فى الموجود الأول وهو الله تعالى (وهى الآراء التى ضمنها الفقرات التسع الأولى من هذا القسم) تتفق كل الاتفاق مع مبادىء الإسلام وما يقرره فى صدد الذات العلية وصفاتها ، وتنم على قوة إيمان الفارابى وسلامة عقيدته وصفائها وتجردها من شوائب الزيغ والانحراف . فهو يقرر فى عبارات مشرقة رائعة أن الله تعالى « لا يمكن أن يشوب وجوده وجوهره عدم أصلا . . . فلذا هو أزلى دائم الوجود بجوهره وذاته ، من غير أن يكون به حاجة فى أن يكون أزلياً إلى شىء آخر يمد بقاءه ، بل هو بجوهره كاف فى بقائه ودوام وجوده . . . وهو الموجود الذى لا يمكن أن يكون له سبب به أو عنه أو له كان وجوده ، فإنه ليس بمادة ولا قوامه فى مادة ولا فى موضوع أصلا ، بل وجوده خلو من كل مادة ومن كل موضوع . ولا أيضاً لهصورة ، لأن الصورة لا يمكن أن تكون إلا فى مادة ... وهو مباين بجوهره لكل ما سواه ، ولا يمكن أن يكون الوجود الذى له لشىء آخر سواه . . . وهو فى نهاية الكمال ، ولكن لضعف عقولنا نحن وللامستها المادة والعدم ، يعتاص إدراكه ، ويصعب علينا تصوره ، ونضعف من أن نعقله على ما هو عليه وجوده . فإن إفراط كماله يبهرنا فلا نقوى على تصوره على التمام ... فكماله بما هو نور يبهر الأبصار فتحار الأبصار عنه » .

ولكنه فى آرائه عن الموجودات الثوانى ومراتب الموجودات وحالاتها وصلتها بالموجود الأول وصلتها بعضها ببعض وما إلى ذلك (وهى الآراء التى ضمنها الفقرات الست عشرة الأخيرة من هذا القسم) قد تأثر تأثراً كبيراً بالأفلاطونية الحديثة بوجه خاص Philosophie néo-platonicienne (مذهب مدرسة الإسكندرية التى كان زعيمها أفلوطين Plotin ولد سنة ٢٠٥ وتوفى سنة ٢٧٠ م) ، وذهب إلى ما ذهبت إليه من وجود عقول وأرواح تنبثق عن الله وتشرف على الموجودات . بل إنه لم يكتف بما اخترعته الأفلاطونية الحديثة من عقول وأرواح ، بل زادها عقولا ونفوساً وأفلاكاً ،

حتى لنحسب أن صاحب هذه الآراء شخص آخر غير صاحب الآراء المدونة فى الفقرات التسع الأولى من هذا القسم من مؤلفه فى صدد الله تعالى وصفاته وكماله .

فهو يذهب إلى أن الموجودات تنقسم قسمين : موجودات روحية ؛ وموجودات مادية .

١ — أما الموجودات الروحية فيرتب طوائفها من الأعلى إلى الأقل منه ترتيباً تنازلياً فى ست مراتب . إحداها مرتبة الكائن الأول أو السبب الأول وهو الله تعالى . وثانيتها مرتبة العقول التسعة المحركة للأجرام السماوية وهى: العقل الأول المحرك للسماء الأولى ؛ والعقل الثانى المحرك لكرة الكواكب الثابتة ؛ والعقل الثالث المحرك لكرة زحل ؛ والعقل الرابع المحرك لكرة المشترى ؛ والعقل الخامس المحرك للمريخ ؛ والعقل السادس المحرك للشمس ؛ والعقل السابع المحرك للزهرة ؛ والعقل الثامن المحرك لعطارد ؛ والعقل التاسع المحرك للقمر . والمرتبة الثالثة مرتبة العقل الفعال فى الإنسانية . والمرتبة الرابعة مرتبة النفس الإنسانية . والمرتبتان الخامسة والسادسة مرتبتا الهيولى والصورة . والهيولى هو المبدأ الأول الذى به تشترك الأجسام فى كونها أجساماً . والصورة هى المبدأ الذى يعين الهيولى ويعطيها ماهية خاصة .

هذا ، والمراتب الثلاث الأولى وهى مراتب الله تعالى والعقول العشرة هى فى نظر الفارابى مراتب روحية محضة ، أى لا صلة لها بالمادة مطلقاً ، على حين أن المراتب الثلاث الأخيرة ، وهى مرتبة النفس الإنسانية ومرتبة الهيولى ومرتبة الصورة ، لها صلة بالأجسام وإن كانت فى ذاتها أموراً روحية غير جرمية . والعقول فى نظر الفارابى تنبثق عن الله تعالى مباشرة كما ينبثق الضوء عن الشمس وتفعل أفعالها وفق غرضه بدون واسطة ، فهى فى المرتبة الثانية بعده ، وأفعالها أشرف أفعال الكائنات الأخرى جميعاً . وأما

النفس الإنسانية والهيولى والصورة فإنها تتصل بالله بواسطة العقول ، فمرتبتها تجىء بعد مرتبة العقول .

ويعبر الفارابى فى كتابه هذا عن نظريته فى العقول فى عبارات مبهمة غامضة إذ يقول : « ويفيض من الأول (أى من الله تعالى) وجود الثانى ، فهذا الثانى هو أيضاً جوهر غير متجسم أصلا ولا هو فى مادة ، فهو يعقل ذاته ويعقل الأول ... وبما هو متجوهر بذاته التى تخصه يلزم عنه وجود السماء الأولى (أى إن هذا الموجود الثانى هو العقل المنبثق عن الله والمشرف على السماء الأولى) . والثالث أيضاً وجوده لا فى مادة ، وهو بجوهره عقل ، وهو يعقل ذاته ويعقل الأول . فبما يتجوهر به من ذاته التى تخصه يلزم عنه وجود كرة الكواكب الثابتة (أى إن هذا الموجود الثالث هو العقل المنبثق عن الله والمشرف على كرة الكواكب الثابتة) . وبما يعقله من الأول يلزم عنه وجود رابع . وهذا أيضاً وجوده لا فى مادة ، فهو يعقل ذاته ويعقل الأول . فبما يتجوهر به من ذاته التى تخصه يلزم عنه وجود كرة زحل (أى إن هذا الموجود الرابع هو العقل المنبثق عن الله والمشرف على كرة زحل . . . » . واستمر الفارابى بهذا التسلسل وفى هذه الصيغ نفسها إلى أن انتهى من العقول العشرة السابق بيانها .

٢ — وأما الموجودات المادية فيرتب الفارابى طوائفها من الأعلى إلى الأخس ترتيباً تنازلياً فى ست مراتب كذلك : إحداها أجسام الآدميين ؛ والثانية أجسام الحيوانات الأخرى ؛ والثالثة أجسام النباتات ؛ والرابعة أجسام المعادن ؛ والخامسة الأجرام السماوية ؛ والسادسة المواد الأولية المشتركة وهى الماء والهواء والتراب والنار وما جانسها كالبخار واللهب . فأجسام الآدميين والحيوانات والنباتات من بين مراتب الأشياء المادية هى أرقاها جميعاً وأقربها إلى السبب الأول وهو الله تعالى . ودونها فى ذلك الأجسام السماوية . وأبعدها جميعاً مرتبة عن السبب الأول الأجسام الهيولانية

أى المواد الأولية التى تشترك فيها الموجودات المادية وهى الماء والهواء والتراب والنار وما تولد منها . وفى هذا يقول : « إن البَرِيَّة (يقصد بها أجسام الأناسىّ والحيوان والنبات ، أى الأجسام الحية) من المادة تقرب من الأول (أى من السبب الأول وهو الله تعالى ، أى إنها أقرب الأشياء المادية إليه) ؛ ودونها الأجسام السماوية ، ودون السماوية الأجسام الهيولانية . وكل هذه تحتذى حذو السبب الأول وتؤمه وتقتفيه . إلا أنها تقتفى الغرض بمراتب . وذلك أن الأخس يقتفى غرض ما هو فوقه قليلا ، وذلك يقتفى غرض ما هو فوقه ، وأيضاً كذلك الثالث غرض ما هو فوقه ، إلى أن تنتهى إلى التى ليس بينها وبين الأول واسطة أصلا . . . » .

— ٦ —

محتويات القسم الاجتماعى من الكتاب

وضع الفارابى فى هذا القسم ما يصح تسميته « تصميماً » لمدينته الفاضلة . وقد جاء تصميمه هذا مشبهاً فى معظم نواحيه لتصميم أفلاطون لجمهوريته مع بعض فروق يسيرة تأثر فيها فيلسوفنا بمبادىء الدين الإسلامى على الأخص .

ويشتمل هذا القسم على اثنتى عشرة فقرة أعطاها العناوين الآتية : « القول فى احتياج الإنسان إلى الاجتماع والتعاون ؛ القول فى العضو الرئيس ؛ القول فى خصال رئيس المدينة الفاضلة ؛ القول فى مضادات المدينة الفاضلة ؛ القول فى اتصال النفوس بعضها ببعض ؛ القول فى الصناعات والسعادات ؛ القول فى أهل هذه المدن ؛ القول فى الأشياء المشتركة لأهل المدينة الفاضلة ؛ القول فى آراء أهل المدن الجاهلة والضالة ؛ القول فى العدل ؛ القول فى الخشوع ؛ القول فى المدن الجاهلة » .

وقد بدأ قسمه هذا بالكلام على احتياج الإنسان إلى الاجتماع والتعاون، فقرر أن الإنسان اجتماعى بطبعه من جهة ومضطر إلى هذا الاجتماع اضطراراً لسد حاجاته من جهة أخرى ، وأنه من أجل ذلك نشأت الجماعات الإنسانية . وفى هذا يقول : « وكل واحد من الناس مفطور على أنه محتاج فى قوامه وفى أن يبلغ أفضل كمالاته إلى أشياء كثيرة لا يمكنه أن يقوم بها كلها هو وحده ، بل يحتاج إلى قوم يقوم له كل واحد منهم بشىء مما يحتاج إليه . وكل واحد من كل واحد بهذه الحال . . . ولهذا كثرت أشخاص الناس فحصلوا فى المعمورة من الأرض ، فحدثت منها الاجتماعات الإنسانية » .

وهذه المجتمعات ترجع فى نظره إلى قسمين : مجتمعات كاملة وهى ما يتحقق فيها التعاون الاجتماعى بوجه كامل لتحقيق سعادة الأفراد ، ومجتمعات ناقصة وهى مالا يتحقق فيها هذا التعاون الكامل ولا تستطيع أن تكفى نفسها بنفسها .

والمجتمعات الكاملة ثلاث مراتب . فأرقاها مرتبة اجتماع العالم كله فى دولة واحدة وتحت سيطرة حكومة واحدة . وأقل منها كمالا اجتماع أمة فى جزء من المعمورة تحت سيطرة حكومة مستقلة . وأقلها جميعاً فى الكمال اجتماع أهل مدينة فى جزء من الأمة تحت سلطة رئيس .

والمجتمعات الناقصة ثلاث مراتب كذلك . فأقلها نقصاً وأدناها إلى المجتمعات الكاملة اجتماع أهل القرية واجتماع أهل المحلة (والمحلة جزء من المدينة) . وأكثر منها نقصاً اجتماع أهل السِّكَّة (وهى جزء من المحلة) . وأحطها جميعاً منزلةً اجتماع أفراد أسرة فى منزل .

فمن هذه المجتمعات يتكون سلم متدرج: فى قمته العالم الإنسانى مندمجة شعوبه بعضها فى بعض ومكونة لدولة واحدة ، وفى أدنى درجة منه المجتمع العائلى .

وفى هذا يقول « . . . فمنها الكاملة ومنها غير الكاملة . والكاملة ثلاث :

عظمى ووسطى وصغرى . فالعظمى اجتماعات الجماعة كلها فى المعمورة . والوسطى اجتماع أمة فى جزء من المعمورة . والصغرى اجتماع أهل مدينة فى جزء من مسكن أمة . وغير الكاملة : اجتماع أهل القرية واجتماع أهل المحلة ، ثم اجتماع فى سِكَّة ، ثم اجتماع فى منزل . وأصغرها اجتماع فى المنزل . والمحلة والقرية هما جميعاً لأهل المدينة : إلا أن القرية للمدينة على أنها خادمة للمدينة ؛ والمحلة للمدينة على أنها جزؤها . والسكة جزء المحلة . والمنزل جزء السكة . والمدينة جزء مسكن أمة . والأمة جزء جملة أهل المعمورة » .

ويلاحظ أن الاجتماع الأول الذى ذكره الفارابى وجعله أكمل المجتمعات الكاملة جميعاً لم يذكره أحد من قبله من فلاسفة اليونان الذين اغترف من فلسفتهم كأفلاطون وأرسطو . فهؤلاء لم يفكروا إلا فيما كان يقع تحت مشاهدتهم وهو الدويلات الصغيرة التى تتألف كل دولة منها من مدينة وتوابعها أو من بعض مدن وتوابعها . ولعل ذلك يرجع إلى تأثر الفارابى بتعاليم دينه ؛ إذ إن الإسلام يهدف إلى إخضاع العالم كله لحكومة واحدة هى حكومة الخليفة .

وقد أغفل الفارابى النوعين الأولين من المجتمعات الكاملة وهى اجتماع العالم واجتماع الأمة ، وقصر كلامه على اجتماع المدينة ، وما يجب توافره فى مجتمعها حتى تكون فاضلة سعيدة . ولعل السبب فى ذلك يرجع إلى أمرين . أحدهما أنه رأى أن اجتماع العالم كله على الصورة التى ذكرها هو اجتماع مثالى ولكنه متعذر التحقق ؛ والآخر أن المدينة هى الخلية الأولى للمجتمعات الكاملة ، فبصلاحها تصلح هذه المجتمعات وبفسادها يعتورها الفساد ، فالكلام على الأمور التى يجب توافرها فيها حتى تكون كاملة — وهو الذى عرض له الفارابى — يعد شرحاً لدعائم الفضل فى سائر المجتمعات الإنسانية الكاملة .

والمدينة الفاضلة فى نظره هى ما تتحقق فيها سعادة الأفراد على أكمل وجه . ولا يكون ذلك إلا إذا تعاون أفرادها على الأمور التى تنال بها

السعادة ، واختص كل منهم بالعمل الذى يحسنه وبالوظيفه المهيأ لها بطبعه . وفى هذا يقول : « فالمدينة التى يقصد بالاجتماع فيها التعاون على الأشياء التى تنال بها السعادة فى الحقيقة هى المدينة الفاضلة . . . . والمدينة الفاضلة تشبه البدن الصحيح الذى تتعاون أعضاؤه كلها على تتميم حياة الحيوان وعلى حفظها عليه » .

وأهم وظائف المدينة وأكبرها خطراً فى نظر الفارابى هى وظيفة الرياسة . وذلك لأن رئيس المدينة هو السلطة العليا التى تستمد منها جميع السلطات ، وهو المثل الأعلى الذى ينتظم جميع الكمالات . فهو مصدر حياة مدينته وقوام نظامها . ومنزلته من سائر أفرادها كالقلب من أعضاء الجسم ، بل إن منزلته منهم كمنزلة الله عز وجل من العقول وسائر الموجودات .

ولذلك لا يصلح للرياسة إلا من زود بصفات فطرية ومكتسبة يتمثل فيها أقصى ما يمكن أن يصل إليه الكمال فى الجسم والعقل والعلم والخلق والدين .

أما الصفات الفطرية فقد اشترط الفارابى أن يتوافر منها فى رئيس المدينة اثنتا عشرة صفة . « إحداها أن يكون تام الأعضاء ، قواها مواتية أعضاءها على الأعمال التى من شأنها أن تكون بها (أى أن تكون قوى الأعضاء مواتية لها على الأعمال التى خلقت لها والتى هى قوامها) . . . ثم أن يكون بالطبع جيد الفهم والتصور لكل ما يقال له ويتلقاه ، يفهمه على ما يقصده القائل وعلى حسب الأمر فى نفسه . ثم أن يكون جيد الحفظ لما يفهمه ولما يراه ولما يسمعه ولما يدركه فى الجملة ، فلا يكاد ينساه . ثم أن يكون جيد الفطنة ذكياً إذا رأى الشىء بأدنى دليل فطن له على الجهة التى دل عليها الدليل . ثم أن يكون حسن العبارة يواتيه لسانه على إبانة كل ما يضمره إبانة تامة . ثم أن يكون محباً للعلم والاستفادة منقاداً له سهل القبول لا يؤلمه تعب العلم ولا يؤذيه الكد الذى يناله منه . ثم أن يكون غير شره على المأكول والمشروب والمنكوح متجنباً بالطبع للعب (يقصد به اللهو وضياع الوقت

فيما لا يجدى) مبغضاً للذات الكائنة عن هذه (أى أن يكون مبغضاً لما ينجم عن الأمور السابقة من لذات) . ثم أن يكون محبًّا للصدق وأهله مبغضاً للكذب وأهله . ثم أن يكون كبير النفس محباً للكرامة ، تكبر نفسه بالطبع عن كل ما يشين من الأمور وتسمو نفسه بالطبع إلى الأرفع منها . ثم أن يكون الدرهم والدينار وسائر أعراض الدنيا هينة عنده . ثم أن يكون بالطبع محباً للعدل وأهله ومبغضاً للجور والظلم وأهلهما يعطى التصنف (أى يعامل بالعدل والقسط) من أهله ومن غيره ويحث عليه ويؤتى من حلّ به جور (أى يرد له حقه وما أخذ منه) مواتياً لكل ما يراه حسناً جميلا (أى من الأمور المتصلة بالعدالة) . ويكون عَدْلا (أى وسطاً فى أخلاقه وشئونه ، فلا إفراط ولا تفريط) غير صعب القياد ولا جموحاً ولا لجوجاً إذا دعى إلى العدل ، بل صعب القياد إذا دعى إلى الجور وإلى القبيح . ثم أن يكون قوى العزيمة على الشىء الذى يرى أنه ينبغى أن يُفعل ، جسوراً عليه ، مقداماً غير خائف ولا ضعيف النفس » .

وأما الصفات المكتسبة فقد اشترط الفارابى أن يتوافر منها فى رئيس المدينة ست صفات . « أحدها يكون حكيماً . والثانى أن يكون عالماً حافظاً للشرائع والسنن والسير التى دبرها الأولون للمدينة محتذياً بأفعاله كلها حذو تلك بتمامها . والثالث أن يكون له جودة استنباط فيما لا يُحفظ عن السلف فيه شريعة ، ويكون فيما يستنبطه فى ذلك محتذياً حذو الأئمة الأولين . والرابع أن يكون له جودة رؤية وقوة استنباط لما سبيله أن يعرف فى وقت من الأوقات الحاضرة من الأمور والحوادث التى تحدث مما ليس سبيلها أن يسير فيه الأولون ، ويكون متحرياً بما يستنبطه من ذلك صلاح حال المدينة . والخامس أن يكون له جودة إرشاد بالقول إلى شرائع الأولين وإلى التى استنبطت بعدهم مما احتُذِىَ فيه حذوهم . والسادس أن يكون له جودة ثبات ببدنه فى مباشرة أعمال الحرب ؛ وذلك أن تكون معه الصناعات الحربية الخادمة والرئيسة » .

وقد اعترف الفارابى أنه من النادر أن تتوافر هذه الصفات جميعاً فى شخص واحد ، وفى ذلك يقول « واجتماع هذه كلها فى إنسان عسر . فلذلك لا يوجد من فطر على هذه الفطرة إلا الواحد بعد الواحد والأقل من الناس » . ومع ذلك فإنه قد أضاف إليها صفة أخرى زادت الأمور استحالة وتعذراً . وقد تأثر فى هذه الصفة — التى لم يرد لمثلها ذكر فى الصفات التى اشترطها أفلاطون فى رئيس جمهوريته — ببعض الاتجاهات الأفلاطونية الحديثة وببعض نزعات صوفية إسلامية وبما يقرره الدين الإسلامى عن صفات الرسول وصلته بالله عن طريق الوحى . وهذه الصفة هى اتحاد الرئيس بالعقل الفعال ، وهو العقل المشرف على الإنسانية (آخر العقول العشرة السابق بيانها فى الفقرة الخامسة من هذا الفصل) الذى ينبعث عن الله تعالى مباشرة كما ينبعث الضوء عن الشمس . فيستحيل الرئيس بذلك إلى كائن روحى يمتزج بالعقول ويتصل بالملأ الأعلى ويتلقى عن هذا الملأ بطريق مباشر نفحات الوحى والإشراق . وفى ذلك يقول : « وإنما يكون ذلك الإنسان إنساناً قد استكمل فصار عقلا ومعقولا بالفعل . قد استكملت قوته المتخيلة بالطبع غاية الكمال على ذلك الوجه الذى قلنا . وتكون هذه القوة معدة بالطبع لتقبل ، إما فى وقت اليقظة أو فى وقت النوم ، عن العقل الفعال الجزئيات إما بنفسها وإما بما يحاكيها ، ثم المعقولات بما يحاكيها . . . ولا يكون بينه وبين العقل الفعال شىء آخر » .

ويرى الفارابى أن أفراد المدينة أنفسهم لا تتحقق سعادتهم ولا تصبح مدينتهم فاضلة إلا إذا ساروا على غرار رئيسهم وأصبحوا صورة منه ، وأن الرئيس لا يعد مؤدياً رسالته إلا إذا وصل بهم إلى هذا المستوى الرفيع . وفى هذا يقول : « وكذلك ينبغى أن تكون المدينة الفاضلة : فإن أجزاءها كلها (أى أهلها وأفرادها) ينبغى أن تحتذى بأفعالها مقصد رئيسها الأول » .

ومن هذا يظهر أن المدينة الفاضلة التى أقام الفارابى قواعدها فى كتابه

هى مدينة يرأسها إنسان لا تقل منزلته كثيراً عن منزلة الأنبياء والملائكة . ويتألف أفرادها من قديسين . ومدينة كهذه لا يتاح وجود مثلها فى عالمنا الدنيوى .

بيد أنه يظهر أن الفارابى لا ينظر إلى مدينته ولا ينظر إلى رئيسها نظرته إلى أمور غير ممكنة التحقق ، بل يرى أنه من الممكن أن تتحقق هذه المدينة ومن الممكن أن يوجد لها رئيس ، إذ من الممكن فى نظره أن يصل الإنسان إلى مستوى الامتزاج بالعقل الفعال ، وإن كان ذلك نادراً ومقصوراً على أفراد زكت أنفسهم ووصلت أرواحهم إلى أرقى درجات الصفاء . ويساعد الفرد على الوصول إلى هذه المنزلة — بجانب ما يزوده الله به من استعداد فطرى — عكوفه على التأمل والتفكير . فبذلك تتهذب نفسه ، وتتخلص من أدران المادة والجسم ، ويرقى إلى عالم العقول ، فيمتزج بها ويغمره نورها الوهاج ، فيكمل بذلك صفاؤه .